الوجه الآخرللمدنية الحديثة –٢–

الشذوذ الجنسي والأمراض الجنسية

{عرض وتلخيص لعدد من التقارير الصحفية لمجلة (الشبيجل) الألمانية الغربية}

الأخ نبيل شبيب

تميزت المدنيات الغربية منذ عهد الرومان والإغريق إلى اليوم بصعودها على سلم التقدم العلمي وهبوطها على منحدر الانحطاط الخلقي .. وإذا كان المجتمع الغربي اليوم قد وصل إلى قمة جديدة في ميادين العلم والتقنية الحديثة فهو –في الوقت نفسه– ينهار إلى هاوية سحيقة على الصعيدين الخلقي والاجتماعي

ومن مظاهر هذا الانحلال –إلى جانب انتشار المخدرات والمشروبات الكحولية– تلك الموجة الجنسية العارمة التي حطمت سائر القيم والمبادئ الخلقية وقضت على معظم الأوامر الاجتماعية .

ومع كل الدعوات التي تقف وراءها باسم الحرية الفردية حيناً و(المساواة بين المرأة والرجل) حيناً آخر تنطلق بعض الأصوات المحذرة تنبّه إلى نتائجها الخطيرة على الفرد والمجتمع .

الشذوذ الجنسي بين الشباب

وقد خصصت مجلة (الشبيجل) الألمانية الغربية المقال الرئيسي في عددها الصادر يوم ١٩٧٣/٠٣/١٢م للحديث حول ظاهرة انتشار الشذوذ الجنسي بين الشباب في المجتمع الغربي عامة والألماني خاصة ، اعتمدت فيه على دراسة علمية نُشرت في حينها وتناولت هذا الموضوع من معظم جوانبه . ونستخلص من المقال بعض ما ورد فيه من إحصاءات تعطي فكرة موجزة عن المستوى الذي وصلت إليه هذه الظاهرة .

والجدير بالذكر أن ألمانيا الاتحادية كانت في مؤخرة الدول الغربية التي عدّلت قانون العقوبات المعروف برقم ١٧٥ والخاص بالشذوذ الجنسي بين الشباب فخففت العقوبات وقصرتها على سن معينة بين ١٨ و٢١ سنة ، كما أباحت في قانون يسري مفعوله منذ ١٩٧٥/٠١/٢٨م تعاطي الأفلام والصور والمنشورات الإباحية المختلفة دون وضع أي حد من الرقابة الأخلاقية على ذلك .

ويقول أحد الإحصاءات المشار إليها حول توزع انتشار الشذوذ الجنسي حسب الأعمار :

إنّ ٢% من المصابين به تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٣ سنة

و٣١% بين ١٤ و١٧ سنة

و٣٥% بين ١٨ و٢٠ سنة

و٢٤% بين ٢١ و٢٥ سنة

٦% تتجاوز أعمارهم ٢٦ سنة

ويذكر إحصاء آخر أن إقدام الشاب الألماني على علاقة جنسية بشاب آخر لأول مرة يأتي في سن مبكرة حسب الجدول الآتي :

٢% قبل بلوغه العاشرة من عمره

و١٧% بين ١١ و١٣ سنة

و٤٤% بين ١٤ و١٧ سنة

و١٨% بين ١٨ و٢٠ سنة

و١٤% بين ٢١ و٢٥ سنة

و٥% بعد بلوغه السادسة والعشرين من عمره .

وقد سئل ٧٨٩ شاباً من المصابين بالشذوذ الجنسي عن عدد من كانت لهم بهم علاقة جنسية من الشباب الآخرين ، فكان الواحد من ٣٨ شخصاً منهم أي ما يعادل (4,8%) على صلة جنسية بـ ١-٥ شباب آخرين ،

ومن ١١٨ أي ١٥% مع ٦-٢٠ شاباً ،

ومن ١٧٤ أي 22,1% مع ٢١-٥٠ شاباً ،

ومن ١١٦ أي 14,8% مع ٥١-١٠٠ شاب ،

ومن ١٣٨ أي 17,5% مع ١٠١-٣٠٠ شاب ،

ومن ١٣٧ أي 17,5% مع ٣٠١-١٠٠٠ شاب ،

ومن ٦٥ أي 8,3% مع أكثر من ١٠٠٠ شاب .

ومن المعروف أنّ لِلّواط أضراراً صحية بالغة ، وكان يتردد -حتى بين الباحثين الاجتماعيين- أن ٨-١٤% من المصابين بالشذوذ الجنسي يمارسون ذلك ، فأثبتت الدراسة الجديدة أن هذه النسبة تتراوح بين ٥٢% و٦٤% .

وتبلغ نسبة المتزوجين بين من جرى عليهم الاستفتاء السابق حوالي ١٠% ، ولدى معظم هؤلاء أطفال .

إنّ الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه هؤلاء لم يعد يَعيب عليهم ما هم فيه .. حتى أن ٤٧% منهم فقط يحتفظون بسرية علاقاتهم الجنسية بشاب آخر أو أكثر ، بينما يُعرف أمر الآخرين علناً حيث يعملون .

وقد أكد ٧٩% منهم على عدم مواجهتهم صعوبات أو مشاكل قانونية ما بسبب الشذوذ الجنسي ، ولكنّ الجدير بالذكر أنّ ١٠% منهم حاولوا الانتحار مرة واحدة و٤% آخرين حاولوا الانتحار أكثر من مرة .

ويعيش ثلث المصابين بالشذوذ الجنسي في منازل مشتركة مع من لديهم بهم علاقات جنسية من الشباب .

الشذوذ الجنسي بين النساء (السحاق)

وأوردت المجلة المذكورة نفسها مقالاً رئيسياً آخر في عددها الصادر يوم ١٩٧٤/٠٩/٠٢م حول انتشار (السحاق) بين النساء .. فأبرزت كيف بات ذلك ظاهرة مشتركة بين المجتمعات الغربية المتقدمة .. حتى أن (الرابطة الأمريكية للدراسات النفسية American Psychiatric Association) أعلنت في أيار/مايو عام ١٩٧٤م إلغاءَ اعتبارها (السحاق) مرضاً نفسانياً ، وكان قد ثبت لها أن ٧٥% من المصابات به لا يشعرن أصلاً بالحاجة إلى العلاج للتخلص منه .

والجدير بالذكر أن انتشار السحاق بين النساء الغربيات أوسع بكثير من انتشار الشذوذ الجنسي بين الرجال .. وقد تشكلت له في أمريكا وفرنسا وألمانيا الغربية وغيرها روابط وجمعيات لـ (الدفاع) عن هذه الظاهرة و(العمل على نشرها) مما لا يكاد يجد مقاومة أو إنكاراً يُذكر من المجتمع .

وقد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية -على سبيل المثال- كتاب بعنوان (الشعب السحاقي Lesbian Nation) تدافع فيه مؤلفته (جيل جونستون) عن (حق المرأة) في ممارسة علاقة جنسية بامرأة أخرى .

وقامت في فرنسا في نيسان/أبريل ١٩٧١م مظاهرة نسائية داخل جامعة (السوربون) للغاية نفسها .

وشهد مطعم الطلبة في (جامعة العلوم التقنية) ببرلين الغربية احتفالاً نسائياً مارست النساء فيه السحاق بشكل استعراضي ، ورافقت الاحتفال حملة تحت اسم : (حملة السحاق في برلين الغربية) .

وتذكر الإحصاءات أن انتشار هذه الظاهرة بين النساء الألمانيات الغربيات شمل ٤% على الأقل ، أي ما يعادل حوالي مليون امرأة .

ويقول الخبير النفساني (هورست ريختر Horst Richter) من مدينة (جيسن) في ألمانيا الغربية :

(إنّ التطور الجديد والهام هو أن النساء أصبحن يمارسن علاقاتهن الجنسية فيما بينهن دون عقدة الخوف الداخلي القديمة ودون التواري عن الأنظار) .

۞ ۞ ۞

ولا شك أنّ للمجتمع نفسه بأفلامه الجنسية الإباحية وأوضاعه الشاذة المتردية دوراً كبيراً في ازدياد انتشار هذه الموجة من الشذوذ الجنسي بين الرجال والنساء .. ناهيك عن الحديث حول صلات الرجل الواحد بأكثر من امرأة وعلاقات المرأة الواحدة بأكثر من رجل .. وناهيك عن ظاهرة ما يسمى بـ (مجموعات الجنس الجماعي) التي تجاوزت كل حدّ .. وعن (الخيانة الزوجية) التي تكاد تصبح ظاهرة اجتماعية لا غبار عليها .. فكلٌ من هذه الظواهر في حاجة إلى حديث خاص طويل .

والجدير بالذكر هنا أنّ علماء النفس والاجتماع متفقون في الرأي على أن (الشذوذ الجنسي) عادة اجتماعية (مكتسبة) لا تولد مع الإنسان ، بل بزرعها المجتمع فيه ، ولا سيما في فترة الطفولة الأولى .

الأمراض الجنسية الحديثة

وليقل دعاة (التقدم) الزائف ما يقولون .. وليتحدث باسم (الحرية الفردية) على هذا الصعيد من يتحدث ما يشاء .. فإن ما لا يستطيع أحد إنكارَه أو المراوغة حوله هو ما يؤدي إليه هذا الانحدار الخلقي الرهيب وذلك الانحلال الاجتماعي الخطير من نتائج صحية وخيمة العواقب ، كانت موضوع المقال الرئيسي الثالث الذي نعرضه هنا من مجلة (الشبيجل) ، وقد ظهر في عددها الصادر يوم ١٩٧٥/٠٤/٢١م بعنوان : (بعد حبوب منع الحمل .. وبعد الحرية الجنسية : الأمراض الجنسية الحديثة) .

وجاء في مقدمة المقال :

(بدا لنا قبل عشرين عاماً أننا تغلبنا على الأمراض الجنسية ، ولكنّ هذا الأمل كان سراباً خادعا . إذ لم يقتصر الأمر على استمرار بقاء الأمراض الجنسية التقليدية ، بل ظهرت إلى جانبها مجموعة كبيرة من الأمراض الجنسية الجديدة تنتقل بالعدوى عن طريق الاتصالات الجنسية) .

من خلال الأرقام

وتسجل المجلة عدداً من الإحصاءات حول انتشار الأمراض الجنسية الحديثة فتقول :

(إنّ نسبة الإصابة (السيلان الصديدي) بين النساء اللاتي يتقدمن إلى التشخيص لدى طبيب نسائي تزيد على الثلث .

ونسبة التعرض إلى الإصابة بأحد مرضي (الزهري) أو (السيلان القيحي) – وهما من الأمراض الجنسية التقليدية– بين الشباب الأمريكيين في سن ٢٥ عاماً تصل إلى (٥٠%)

وذكرت المجلتان الطبيتان المعروفتان :

(Ärztliche Praxis), (Medical Tribune)

أن نسبة الإصابة بالأمراض الجنسية في ألمانيا الاتحادية تزيد على نسبة الإصابة بأمراض (الدفتريا) و(شلل الأطفال) و(النكاف) مجتمعة .

ويؤكد الأمين العام لـ (الرابطة الألمانية لمكافحة الأمراض الجنسية) الطبيب المختص بالأمراض الجلدية بروفيسور (يوآخيم هايته Jochaim Haite) على انعدام كل أمل الآن في انحسار موجة الأمراض الجنسية ، ويقول :

(رغم سعة انتشار مرضي (الزهري) و(السيلان القيحي) فإن معدل الإصابة بهما لا يمثل سوى نسبة ضئيلة من مجموع الإصابة بالأمراض الجنسية عامة) . وقد اشتهرت مجموعة جديدة من هذه الأمراض تنتقل جميعاً بالعدوى ، وأهمها ما يعرف باسم (أمراض الـ STD) ، ومنها : (السيلان القيحي الحديث) و(الصديد التناسلي) و(البثور الجنسية) فضلاً عن الالتهابات التي تصيب الطحال والكبد والأعضاء التناسلية والمضاعفات الناشئة عنها .

ويقول خبراء منظمة الصحة الدولية إنّ عدد المصابين بمرض (السيلان القيحي) في أنحاء العالم لا يقل هذا العام عن (٧٠) مليون نسمة ، هذا رغم (الأدوية الفعالة والحملات الدعائية الباهظة التكاليف ، والتعاون الدولي على هذا الصعيد ، واضطرار المصاب بالمرض إلى العلاج لما لَهُ من أعراض مزعجة) . ويبلغ عدد المصابين به في ألمانيا الغربية خلال عام ٧٣م فقط (78.431) شخصاً مقابل (5.847) مصاب بمرض (الزهري) .

وقد تمّ تشخيص جميع التلاميذ والتلميذات في أحد فصول مدرسة أمريكية فكانت النتيجة أن مرض (السيلان القيحي) انتقل بطريق العدوى من أحدهم فشمل (١٣) آخرين بشكل مؤكد و(٢٤) على وجه الاحتمال ، ونجا (٢٥) من الإصابة .. بعد أن كانت بينهم جميعاً علاقات جنسية .

وتصل نسبة الإصابة بـ (الصديد التناسلي) بين النساء إلى (٤٥%) ولا تقل عن (٨%) .. ويبلغ عدد المصابين به في ألمانيا الاتحادية وحدها (٣) ملايين شخص من أصل (٦٠) مليون نسمة . ومن المؤكد أن هذا المرض لا ينتقل إلاّ بالعدوى عن طريق العلاقات الجنسية ، ومن وجوه خطورته أن المرأة المصابة به لفترة زمنية طويلة معرضة إلى الإصابة بسرطان الرحم بنسبة تزيد على أربعة أمثال تعرض امرأة سليمة إلى ذلك .

من الأسباب

ومن خطورة الأمراض الجنسية الحديثة سرعة انتشارها ، ولا سيما بتعدد الأطراف في العلاقات الجنسية ، ممّا جعل مجموعات (الجنس الجماعي) أشدّ فئات المجتمع تعرضاً إلى الإصابة بها .

وقد سجل المختصون الأمريكيون في الأمراض النسائية حالات إصابة بـ (البثور الجنسية) تزيد على سبعة أضعاف حالات الإصابة بـ (الزهري) الذي يسبب -دون علاج- نخرَ العظام وتآكلها وربما البلاهة .. وهذا هو المرض الذي أصاب العديد من الأباطرة والملوك والفلاسفة والشعراء عبر تاريخ أوروبا (العريق) .. بينما تركزت موجة انتشاره الحديثة على المصابين بالشذوذ الجنسي خاصة بعد أن سمحت به معظم القوانين الغربية (المتمدنة) .

ويقول الأطباء أيضاً إنّ انتشار (البثور الجنسية) يعود إلى انتشار موجة ما يسمى بـ (الجنس الحديث) ويقصد به اتصال (الفم) بـ (الأعضاء التناسلية) . ويقدر بروفيسور (زايمان) من مدينة (فرانكفورت) عدد الإصابات الجنسية في ألمانيا الاتحادية بأكثر من (٢٠٠) ألف إصابة .

وتعتقد مجلة (Deutsche Ärzteblatt) الطبية الألمانية أن السبب الرئيسي في انتشار أمراض الـ (STD) عامة كامنٌ في (الطريقة التي يعيش عليها معظم الشباب اليوم) .. حتى أن الذين يترددون على دور البغاء أنفسهم أصبحوا أقل تعرضاً لها من الذين يعيشون حياة جنسية متطرفة مثل (رجل الأعمال) مع أمينات السر في مكتبه ومع (خليلاته) خارج منـــزله ثم مع (زوجه) في المنـــزل .

ومع ارتفاع نسبة تعدد هذه العلاقات -كما في الجنس الجماعي- تزداد احتمالات الإصابة . كما تلعب حبوب منع الحمل دوراً رئيسياً في ارتفاع هذه النسبة ، فاحتمال عدوى امرأة لا تتعاطاها إذا مارست علاقات جنسية برجل مصاب بـ (السيلان القيحي) يصل إلى (٤٠%) بينما يصبح (١٠٠%) لدى تعاطيها تلك الحبوب .

ويقول تقرير صادر عن منظمة الصحة الدولية حول الأوضاع السائدة في الدول الاسكندنافية إن الحملات الإعلامية الواسعة النطاق للوقاية من الأمراض الجنسية بشتى الطرق لا تؤدي مفعولها لتركّز انتشار تلك الأمراض في طبقة ذات مستوى (ثقافي) لا بأس به من الأصل ، سواء في ذلك التجار أو مستخدمو شركات الطيران أو الطلبة والطالبات .

إنما يعود انتشار الأمراض الجنسية في واقع الحال إلى خروج العلاقات الجنسية عن كل رقابة أو قيد .. وانتشار الإباحية الجنسية في سائر أشكالها .. واستجابة المشرع القانوني إلى كلّ شاذ من الظواهر الاجتماعية المتطرفة بشكل يزيد من تثبيتها في المجتمع .. وإلى غير ذلك من الأسباب القريبة ممّا يتبين بوضوح من خلال تأكيد الأطباء على استحالة الإصابة بمرض جنسي دون وجود علاقة جنسية بين ثلاثة أشخاص على الأقل .

وأما الأسباب البعيدة فكامنة في تكوين المجتمع الغربي نفسه وفي الأصول التاريخية لمدنِيّته ، ممّا يضيق المجال عن الحديث فيه .